

## تقرير

خليفة حرب

Khalilharb66@gmail.com

لحظة عراقية وإقليمية للكاهن... من دون سوريا  
قمة بغداد: الحصاد بعد الانتخابات!

النتائج المرتجاة من "قمة بغداد للتعاون والشراكة" التي عقدت في العاصمة العراقية في 28 آب 2021، قد لا تظهر ملامحها سوى بعد الانتخابات البرلمانية العراقية المقررة في 10 تشرين الاول الجاري، اذا انتجت مساوماتها السياسية عودة قوية لمصطفى الكاظمي الى رئاسة حكومة يتمتع فيها بهامش مناورة اكبر، داخليا وخارجيا

بداية، يسجل للعراق مبادرته وقدرته على استضافة القمة التي جمعت تسع دول اقليمية بالإضافة الى فرنسا، واخراجها بالشكل اللائق الذي جرت فيه، رغم الحساسيات السياسية بين بعض الدول الحاضرة. لم تكن بغداد المبادرة الى كسر الجليد القائم بين بعض الدول، لكنها التقطت الاشارات وبنيت على خطوات تقارب كانت تحققت قبيل القمة، على غرار ما جرى بين قطر والسعودية، وبين المصريين والقطريين، وبين الاماراتيين والأتراك، وبين المصريين والأتراك، وبين السعوديين والاييرانيين.

كان من الواضح ان حكومة مصطفى الكاظمي تستشعر اهمية التحول الحاصل في ضوء تفاهماتها مع ادارة الرئيس الاميركي جو بايدن، بانهاء الدور القتالي للقوات الاميركية المتبقية في العراق مع نهاية العام 2021. وهي تلتقط بذلك ايضا اجواء الانكفاء الاميركي من المنطقة، وفق اولويات المصالح الاستراتيجية الاميركية التي حددت الصين وجنوب شرق اسيا محاور لاهتماماتها. لا بد من ان حكومة الكاظمي لديها الاعذار- لن تفصح عنها - التي ساقتها واشنطن

لتنغيب عن قمة بغداد رغم ان بايدن كان يؤمل حضوره، حتى انه لم يوفد وزير خارجيته انتوني بلينكن ليمثل اميركا فيها.

ربما للمفارقة، ان اسباب الغياب الاميركي قد تكون هي نفسها التي جعلت الاخرين يتحمسون للحضور الى بغداد، سواء السعودي او الايراني او التركي وحتى الفرنسي الذي يرى نافذة مفتوحة لملء فراغ الغياب الاميركي. وهو ما تجلى بوضوح في حضور الرئيس ايمانويل ماكرون شخصيا، ومشاركته المباشرة في تنظيم المؤتمر والعمل من



الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون خلال زيارته الى الموصل.

مع العراق من خلال عقد الطاقة مع شركة "توتال" بقيمة 27 مليار دولار. تدرك باريس بالاضافة الى ذلك، ان تركيا تسعى الى التقدم لملء الفراغ الذي يخلفه الاميركيون، وها هي تثبت مواقع توسعية لها في الشماليين العراقي والسوري، وفي ليبيا كان حضورها اكبر من منافسيها، وخرجت لتوها من حرب رابحة بين ارمينيا واذربيجان، بل انها تصادمت مع الفرنسيين وهي تحاول تثبيت قدميها في مناطق النفوذ النفطي والغازي في شرق البحر المتوسط.

لهذا، يبدو ان باريس تفضل ان لا تترك لانقرة وحدها التقدم لاحتلال هذه المواقع في المنطقة، خاصة في البؤر التي تعتبرها فرنسا من ارثها الاستعماري، وتسعى الى تعزيز نفوذها ومصالحها فيها.

في هذا الاطار، املت باريس من خلال اقتحامها الى الملف العراقي - الاقليمي، في ان تعوض تعثر دورها اللبناني منذ انطلاق مبادرة فرنسية على انقاض انفجار مرفأ بيروت في آب 2020. اراد ماكرون على ما يبدو ان يأخذ في العراق ما لم يأخذه في لبنان، وهو على اعتاب اشهر فقط قبل الانتخابات الفرنسية.

مهما يكن، فقد كان من اللافت ان رئيس تحالف الفتح هادي العامري، القيادي السياسي والعسكري البارز في الحشد الشعبي، سكب مياه باردة على مواقف ماكرون العسكرية، عندما قال

بعد تصريحات الرئيس الفرنسي، ان اي قوة اجنبية لن تبقى في العراق بعد نهاية العام 2021، ولا حتى فرنسية او تركية، لان هذا قرار عراقي، وهي اشارة واضحة الى ان الوجود العسكري الفرنسي المقترح استمراره من جانب ماكرون، قد يلقي مصير الاعتراض نفسه الذي واجهه الوجود العسكري الاميركي في المرحلة الماضية، بما في ذلك ما تعرض له من هجمات بالصواريخ وطائرات "الدرونز" المسيرة والعبوات

## الفرصة مواتية لملء فراغ غياب واشنطن

والسعودية، وتريد ان تكون قريبة عندما تفتح ابواب سياسية واقتصادية امامها كنتيجة مرجحة لهذه المصالحة. قطفت فرنسا بالفعل اتفاقية مغربية

اجل بلورته وانجاحه، ثم في بقائه في العراق بعد اختتام القمة، وقيامه بجولة عراقية وفي اقليم كردستان، وفي تصريحاته التي قال فيها ان خطر الارهاب باق في العراق، وان القوات الفرنسية المقدرة عددها بنحو 600 عسكري، مستعدة للبقاء في العراق حتى لو غادر الاخرون.

تدرك باريس اهمية الملف العراقي بالنسبة اليها، وتعرف ايضا اهمية محاولات المصالحة الجارية بين ايران

## انسحاب اميركي؟

ذكر موقع "ميدل ايست اي" البريطاني ان "انسحاب واشنطن من العراق لن يشبه انسحابها من افغانستان"، موضحا ان واشنطن ستظل تقدم دعما استخباراتيا وجويا للعراق. وقال مسؤولون اميركيون وعراقيون ان الاتفاقية الموقعة بين حكومة الكاظمي وادارة بايدن "تسمح للقوات الاميركية بتنفيذ عمليات عسكرية داخل العراق اذا طلبت الحكومة العراقية ذلك".

ونقل الموقع عن مسؤول اميركي مطلع على تفاصيل الاتفاقية قوله ان "جميع العمليات العسكرية التي تشارك فيها القوات الاميركية ستتوقف مع نهاية العام 2021. لكن اذا احتاجت الحكومة العراقية الى مساعدة مثل الطيران او المخابرات فسيتم توفيرها من خارج العراق".



الصورة الجماعية لقمة بغداد.

العديد من المراقبين توقفوا طويلا عند تغييب سوريا اولا عن اللقاء الثلاثي، ثم عن القمة التي ضمت 9 دول، وهو غياب لم يعترض عليه سوى الوزير عبداللهيان.

من نافل القول، ان الصورة التي يسعى العراق الى اكتمالها حوله وحول دوره لن تكتمل، اذا ظلت سوريا - غائبة او مغيبة - عن مثل هذه اللقاءات الاقليمية، والتفاهات بين الدول المتجاورة. اذ يدرك العراق، كما يدرك غيره من الجيران الاقليميين، ان الوثام الاقليمي المنشود، ان سلمت النيات، لن يكون متاحا بالمقدر المأمول اذا ظلت الحرب السورية نارا تحت الرماد. فقبل سبعة اعوام، كانت سوريا مبعدة من كل التجمعات الاقليمية والدولية والمؤتمرات، بقرار سياسي متعدد الجانب والهدف. الشرارة الداعشية امتدت لتشتعل نيرانها على جانبي الحدود السورية -العراقية الممتدة على طول 600 كيلومتر، وفقد العراق نحو ثلث مساحته الجغرافية، وفقد ايضا على طريق التحرير عشرات الاف الضحايا وخراب العديد من المدن الكبرى والتاريخية كالموصل.

من المهم الاشارة الى ان غياب دمشق عن القمة الاقليمية، لم يكن بقرار منها. كان ذلك واضحا قبل اسبوعين من انعقادها حيث زارها مستشار الامن الوطني العراقي صالح الفياض، من دون ان يحمل دعوة رسمية لها للحضور، وانما من اجل التشاور ووضعها في خلفيات تغييبها عن هذا التجمع الاستثنائي. ذلك انه تبين ان العديد من الدول الحاضرة، (باستثناء ايران)، لم تكن مؤيدة لتمثيل سوريا في القمة. وكان على بغداد ان تختار اما ضمان انعقاد القمة، او المجازفة بدعوة السوريين وبالتالي مقاطعة دول اخرى للقمة وفشلها الكامل، ولهذا اختارت على ما يبدو فكرة القمة الناقصة.

تكون بوابة لفكفكة الخلافات الاقليمية. نقطة اخرى قد يسجلها البعض ضد رهانات الكاظمي. مثلا، الى جانب غياب الاميركيين، لم يأت الملك السعودي سلمان بن عبدالعزيز ولا ولي العهد محمد بن سلمان، كما غاب الرئيس التركي رجب طيب اردوغان والرئيس الايراني الجديد ابراهيم رئيسي.

نقطة اخرى لا بد من التوقف عندها. بالاضافة الى ان قمة 28 آب تمثل مسعى عراقيا مبشرا بتوسيع العراق دوره الاقليمي خارج اطار اللقاء الثلاثي الذي يجمعه مع مصر والاردن او ما يطلق عليه "الشام الجديد"، بما يحمله ذلك من تنسيق وتعاون على الصعيد السياسي والامن والاقتصادية، الا ان

”

**ماكرون اراد ان ينال في العراق ما لم ينله في لبنان**

“



عراقي يحمل ابنته هربا من معارك الموصل.

حول ذلك. فبينما قال الايرانيون ان وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان قال ان اللقاءات ستستأنف مع طهران بعد تثبيت الحكومة الايرانية الجديدة، سربت مصادر عراقية مقربة من الحكومة ان الايرانيين ضيعوا فرصة استغلال وجودهم في قمة بغداد لعقد لقاء مع بن فرحان لان وزير الخارجية الايراني حسين امير عبداللهيان لم يتصرف بروتوكوليا بشكل مناسب، خاصة عندما وقف خلال الصورة الجماعية في الصف الاول للرؤساء، بينما كان مكانه المقرر تنظيميا في الصف الثاني.

هناك رواية اخرى تشير الى ان الايرانيين ابدوا تجاوبهم عندما طرح الجانب العراقي عليهم فكرة اللقاء الثنائي مع الوزير السعودي، لكنهم اشتروا ان تأتي المبادرة من السعوديين!

تقول مصادر عراقية اخرى ان الايرانيين هم من طلبوا عبر سفيرهم في بغداد ترتيب عقد لقاء مع الوزير السعودي. بغض النظر عن حقيقة ما جرى، فان اختراقا سعوديا - ايرانيا لم يتحقق خلال القمة التي راهن العراقيون على ان



الرئيس بشار الاسد مستقبلا وزير الخارجية الايراني حسين امير عبداللهيان بعد اختتام قمة بغداد.

يراهن الكاظمي على فكرة بسيطة، مفادها ان الخروج من تحت ظلال العباءة الايرانية سيجعله متموضعا في مكانة افضل شعبيا على الصعيد الداخلي، كما سيعزز صورته اقليميا وخارجيا على انه زعيم عراقي مستقل. يعني ذلك، ان الرهان الثالث للكاظمي من قمة بغداد يتعلق بتعزيز فرصه لتكليفه مجددا تشكيل حكومة ما بعد انتخابات تشرين الاول، خاصة اذا نجحت رؤيته في عقلنة الموقف الايراني من الوضع الاقليمي، باقناع طهران بالمراهنة على الدور الذي يمكن ان يقوم به خارجيا، بما يحقق لها بعض تطلعاتها، بدل الاعتماد الايراني الكامل المراهن على احزاب عراقية وفصائل في الحشد الشعبي.

لكن هذه الرهانات ليست قابلة للتحقق بالضرورة. ويدرك الكاظمي حقيقة المثل الشعبي القائل ان "حساب الحقل لا ينطبق على حساب البيدر". فعلى سبيل المثال، لم يشهد مؤتمر بغداد لقاء مصالحة بين السعوديين والايرانيين، وسربت اطراف عدة روايات مختلفة

”  
**ماكرون لا يريد ترك انقرة توسع نفوذها لوحدها**

“

الايرانية مع بايدن، وربما الدفع في اتجاه تخفيف العقوبات الاميركية القاسية المفروضة على ايران.

يريد الكاظمي في مكان ما، ان يقول للايرانيين ان في امكانه شخصا ان يكون خيارا افضل لهم للتعامل معه كرئيس حكومة للعراق، عوضا عن القوى العراقية الاخرى التي تتمتع بعلاقات وثيقة مع طهران. المناورة مزدوجة الجانب، وهي - اذا ما نجحت - قد تتيح له تحقيق بعض التحرر من نفوذ القوى العراقية المرتبطة بالايرانيين، وهو ما سيساعده على اطلاق يديه داخليا لقيادة المشهد العراقي من دون ضغوط خصومه ومنافسيه على الساحة.

◀ التي استهدفت قوافل الامدادات اللوجستية.

في كل الاحوال، ان نتائج ما جرى في قمة بغداد وفي كواليسها، قد لا تتضح ملامحها الملموسة سوى الى ما بعد انتخابات 10 تشرين الاول في العراق، اذ قد يتبين ما اذا كان الكاظمي الذي لا يملك حزبا سياسيا خاصا به يقوده في المعركة الانتخابية، سيضمن اولا، مشاركة شعبية واسعة في عملية الاقتراع تضي شريحة اكر على النظام السياسي وهياكله. ثانيا، ما اذا كان سيحظى باجماع سياسي يتيح له العودة بقوة وثقة اكر لقيادة حكومة ثانية.

بحسب معهد كارنيغي الاميركي للابحاث، فان من بين اهداف الكاظمي من وراء القمة، تطبيق سياسة صفر اعداء. يريد العراق ان يقول انه منفتح شرقا وغربا، وعلاقته طيبة في الاتجاهات الاربعة. وقد كانت تصريحات رئيس الحكومة العراقي واضحة امام القادة والزعماء وممثلي الدول التسع الذين شاركوا، بأن العراق لم يعد ذلك البلد الذي كان يتسبب بزعزعة استقرار الدول الاخرى، او يشكل تهديدا لجيرانه. وهو في الوقت نفسه، لا يريد، كما كرر الكاظمي مرارا خلال الاشهر الماضية، ان يظل ساحة لتصفية الحسابات والصراعات الاقليمية.

ترتبط هذه النقطة بالهدف الثاني المحتمل للكاظمي، وهو تعديل طبيعة علاقة ايران بالعراق، واغراء الايرانيين ان في امكانه تحويلها الى مصلحة متبادلة لكل من بغداد وطهران، من خلال استغلال علاقته مع الاميركيين ومقبولته الاقليمية، من اجل فتح متنفس لطهران سواء من خلال الاستمرار في ترتيب جهود المصالحات السعودية - الايرانية، ومع بعض الدول العربية الاخرى، كمصر والاردن، او حتى العمل على ترطيب العلاقات